

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

أ.د. العربي فرحاتي .

جامعة باتنة. الجزائر

ملخص البحث .

يعد الاتصال المعلوماتي صيغة متطورة، من صيغ الاتصال الإنساني وأرقاها، طورها الإنسان في سياق إرادة انفتاح الذات على الآخر وتبديد الحدود والأنساق المغلقة، فالإنسان كما خلق كذات متميزة، فهو أيضا ذلك الكائن الاتصالي ضمن فضاء وجد وخلق لتسخير الكل للكل، وأن الاتصال فعل مدمج في هويته بحيث لا يستطيع إلا أن يكون متصلا، وبهذه الكينونة فهو علائقي ثقافي سعى ويسعى لإنتاج صيغ العلاقات مع الآخر من جنسه ومن غير جنسه، فأبدع عبر تجربته الاتصالية التاريخية نماذج عدة من الصيغ الاتصالية لا حصر لها، كما أبدع وطور أدواته التقنية المناسبة، بحيث أهله كـ معرفة لتنبؤ مكانة السلطة المعرفية، بما منحه تقنيات الاتصال للإنسان من فرص الاختيار والحرية، وبلغت الحرية الاتصالية أوجها في صيغة المعلوماتية، حيث تبددت كل إكراهات الزمان والمكان في صيغة الاتصال الرقمي. وهي صيغة أدمجت فيها الوسيلة والغاية والمضمون، ولم تعد قطع أو عناصر محايدة منفصلة، بل صارت التقنية الاتصالية (الميديا) كلية من العناصر المدمجة تؤلف عملية الاتصال ذاتها، مما جعلها قوة معرفية فمن امتلكها امتلك القوة والسلطة . ومن ثمة فالمعلوماتية كتقنيات ومضامين إعلامية مشكلت فعل الاتصال على مستوى بنياته ووظائفه وشروط كفاءة آليات ممارسته ، حيث بدا في بنيته وكينونته وكأنه فعل يفلت من منظومة الأفعال الاختيارية، ليدمج أو يلحق بالأفعال الحتمية والجبرية، فيفلت . بجبريته تلك . من التحكم والرقابة، حتى على مستوى مبدعيه ومنتجييه، ويبدو في وظائفه وأثاره، وكأنه

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

سلطة وقوة إختراقية ثقافية مفروضة على المتلقي، وهو الأمر الذي يعد إشكال جوهري في حياتنا الثقافية كهوية، نواجهها على مستوى السلب الثقافي والهيمنة ومنطق الدمج والاستحواذ؛ حيث أننا لا نبدو في هذه العلاقة إلا ونحن متلقين ملحقين ومكملين مستهلكين، فاقدين لحريتنا الاتصالية في ظل الفجوة الرقمية الرهيبة. وهو ما سنحاول قراءته في هذه المداخلة بغرض البحث عن صيغة العلاقة اللاتصالية العادلة تضمن لنا حريتنا على الأقل في الاستهلاك. وتعيينا بشروط ممارساته المنطقية والنفسية واللغوية والفنية التقنية، ونتفادى بها أثارها المدمرة للذات و"نحن الحضارية" والله أعلم

أولا : الحقل الدلالي في العلاقة بين مفهومي الاتصال والثقافة.

1: في معنى الاتصال

تفاديا للتوسع في سرد المفاهيم اللغوية سنقتصر في تفحص مفهوم الاتصال على عرضه بدلالة صيغه التطورية والاستغناء في هذا المقام عن الجدل اللغوي حول مفاهيم الاتصال والتواصل كما ساقها بعض الكتاب أمثال تمحري وحجازي غيرهم.¹ (1 : 12)² ويقسم معظم الباحثين الاتصال بدلالة تطور أدواته وصيغه إلى اتصال شفوي وإيمائي، ويعني به التراسل ما بين الأشخاص باللغة الشفوية، وقد ساد مرحلة ما قبل الكتابة ويسود أكثر في المجتمعات الريفية والقبلية، وأخذ دلالة الاندماج والانصهار المباشر بالقيم والمجتمع، ثم الاتصال الكتابي ويعني به الاتصال الناشئ عن ترميز المرمز، إي استعمال اللغة الكتابية كإيقونات تواصلية، تعبيرية عن الأنا والفكر والاتجاه والرأي والعلم، ويسود أكثر في المجتمعات المدنية المتحضرة، ثم الاتصال الجماهيري ويعني به استخدام الوسائط الجماهيرية الإعلامية (التلفزيون، الراديو، صحافة... الخ) في الاتصال، ويرتكز على مفهوم الإبلاغ الترويجي للمعلومات والأخبار، ويسود المجتمعات المجمعنة سياسيا واقتصاديا، ثم الاتصال المعلوماتي الالكتروني الذي

أ.د. العربي فرحاتي .

أخذ مفهوم الاتصال الذاتي المفردن ويسود مرحلة المابعد . (2 : 155) . كما نجد تقسيما آخر بدلالة وظائفه إلى التواصل الواعي ويقصد به استشعار الذات والآخر المتصل والرسالة ووسائلها ومقاصدها وظروف بث الرسالة وشروط الاستقبال . والاتصال الحر ويعني به التصريح بالاعتقادات والمشاعر والحاجات والرغبات . والتواصل التعبيري ويعني به إبراز حالات التوتر الذاتي والقلق وضبط الانفعالات وظهورها على السطح أثناء التواصل ، والتواصل التبادلي ويعني به الاقتناع بأن الآخرين شركاء ويلزم إشراكهم في ما يعتقدون ويشعرون ويحتاجون . والتواصل المضبوط ويعني به امتلاك القدرة على تبليغ المعلومات بكفاءة وممارسة الضبط والاختزال والتعبير بدقة باللغة أو بالإيماءات للاستيعاب الجيد للرسالة . (3 : 98 . 148) ..

وإذا عدنا إلى المفاهيم الاصطلاحية للاتصال والتواصل، فإننا نجدها مشبعة بحمولة دلالية سيكولوجية وسوسيولوجية، حيث تحمل معاني الربط والعلاقة والقصدية، فقد عرف "ريكارد RICKARD" الاتصال بأنه عملية يقصد مصدر نوعي بواسطتها إثارة استجابة نوعية لدى مستقبل نوعي . (4 : 18 . 19) وقصدية الاتصال ونوعية طرفيه، في هذا التعريف تأكيد على تضمين البعد السيكولوجي والسوسيولوجي للعملية الاتصالية في أي صيغة من صيغها .

وفي المفاهيم الإجرائية للتواصل كما تبرزها الدراسات الأمبيريقية هو أيضا تلك العملية التي تدل على أفعال الربط والوصل التي تجري بين شخصين أو أكثر بصفة إرادية، تسفر عن إقامة علاقة تبادل إنسانية للرسائل اللغوية الشفوية، والكتابية، والإيمائية، والايقونية (فكر، إشارة ، معلومة، خبر، رأي، مبدأ، مهارة، صورة، مجسم...الخ) تتم بوسائل رمزية ذهنية وغيرها، محملة بمضامين سيكولوجية واجتماعية، تتمظهر في شكل تجاذب وتقارب وتقبل وحب، أو تنافر وتضاد وتباعد وكره، أو حياد ولا مبالة، وتجري عبر قنوات الادراكات الحسية

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

النورولوجية (سمعية، بصرية، ذوقية، شمية) حينما تكون العلاقة مباشرة أو عبر الوسيط الآلي الإعلامي (السمعي البصري) كما في حالة الإرسال عن بعد والتعامل مع العوالم الافتراضية الخائلية، أو غير حسية (فكرية وتأملية) حينما تكون غير مباشرة(تاريخ، استشراف مستقبل، كتاب، برقية) وتترك أثرا ما قصدي أو غير قصدي في أحد الطرفين المتواصلين أو كليهما (5: 157 . 158).

2 : الاتصال في مقاربات العلوم الحديثة .

يقي الاتصال في المعرفة الإنسانية في مستوى الحضور، رغم ملازمته كفعل لوجود الإنسان، يتوقف عليه نقل الخبرات، إلا باستثناء مقاربتة فلسفيا كما لو أنه مرادف لفعل الحجاج، ولم يبدأ بتجريده في تعريفات اصطلاحية، وتحويله إلى فكرة فإلى نمذجة ونظريات وعلوم، إلا بحلول سنة 1948 حيث وضع " وينر " المفهوم التقليدي للاتصال في كتابه السيبرنيطيقا موضع البحث من حيث صيغته السببية أحادية الاتجاه، وقابلها بما لا حظه من صيغ أخرى يكون فيها الارتداد والإرجاع عنصر لا يقل أهمية عن العناصر الخمسة التي كان " كلود شانون " قد طورها ونمذجها في نفس السنة 1948 (مرسل، مستقبل، رسالة، ترميز، قناة) وهي السنة التي ظهر فيها الاتصال كمنظومة ونسق وهندسة، في المجال التقني، وبقي هذا النموذج ملائما ومحل توظيف منهجي في كل المقاربات التقنية للاتصال . وبهذه النمذجة، بدا موضوع الاتصال في مقاربات العلوم الوضعية لا سيما مقاربات علماء النفس الاجتماعي، كما لو أنه شأن سيكو سوسيولوجي بامتياز حيث حرر من الطابع الفلسفي والمنطقي والبلاغي والديالكتيكي، ولم يعد حكرا على أيديولوجية الخطيب وبلاغته أو احتيال السوفسطائي، أو برهنة المنطقي واستنباطاته العقلية، (6 : 33 . 43) بل هو موضوع إعلامي طور بشأنه عدة نظريات (نظرية الإعلام، نظرية الاتصال، السيبرنيطيقا) ونذكر من بين الجهود العربية في تطوير نظرية للاتصال أو نموذج الاتصال ما استوحاه عزي من الثقافة

أ.د. العربي فرحاتي .

الإسلامية يبحث الرسائل في ضوء شروطها الاقناعية ومحتوياتها وتقنياتها وأبعادها السيكلوجية وأركانها وعناصرها. (8 : 14) . وبتوزيع الاتصال على أكثر من مجال معرفي، تأثر بعدة خطابات (فلسفية ولسانية وسيكلوجية وسيميائية) وطور بشأنه تبعاً لذلك عدة نماذج (رياضي، الاجتماعي، السلوكي، اللساني، الإعلامي، التربوي) . (22 : 54 . 61) . وأخضعت مفاهيمه الفلسفية للأجراً المنهجية، كأجراً (الاقتناع والإقناع) وما يشترط ذلك من تقعيد للحوار وتحديد للمرجعيات وتقليص للمسافة بين الذات (7 : 57) . وأجراً المفاهيم الوظيفية (التأثير والتأثر) وما يحدث من تغيرات في السلوك وتمثيلات على مستوى الذات، وأجراً المفاهيم التقنية (البث والاستقبال، والإرجاع) وما يتطلبه من قنوات حسية وسمعية بصرية ومن سعة في الحيز النفسي، (9 : 129 . 132) وأجراً المفاهيم السيميائية (اللغة، الترميز، التشفير العلامة. الايقونية) وما تتطلبه من شروط وكفاءة. (13 . 24) .

والتوزيع المعرفي والتشابك في تمظهرات الاتصال جعل منه ظاهرة مزدوجة في وجودها المعرفي، فهي ذات خصائص تقنية تكنولوجية (صناعة أجهزة) من جهة، مما يجعلها محل اهتمام العلوم الطبيعية من حيث هي صناعة لآلات بمستوى معين من الجودة المطلوبة في بنيتها ووظيفتها في إرسال وإيصال المعلومة إلى الغير المتلقي وتخزين وحفظ المعلومات والمعارف والأخبار ومعالجة البيانات ، ومن جهة أخرى فهي ذات خصائص إنسانية وظاهرة إنسانية واجتماعية بامتياز (فعل ونظام)، تتعلق بصورة من صور الوجود الإنساني والعلاقة بين الذات والآخر، مما يجعلها في مركز اهتمامات العلوم الإنسانية بصفة عامة، من حيث محتوى فعل الاتصال وأركانه ونماذجه وشروط كفاءته على مستوى المرسل والرسالة والمتلقي والتأثيرات والتفاعلات الدينامية التي تحدثها العملية الاتصالية على مستوى عناصرها.

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

وبحلول عصر المعلوماتية زادت صيغ الاتصال تعقيدا بما أضيف لها من وضعيات وعناصر كتعقد المعلومات وكثافتها المبتوية ونوعها ونمذجتها في برامج معلوماتية وإنتاج العوالم الافتراضية، وهو الأمر الذي زاد من عناصر تشويش الرسائل والخطورة على أمن المعلومة وسلامتها، كما زاد الاهتمام بالشكل على حساب المضمون. وهو ما حفز كثيرا من الكتاب لطرح علوم جديدة تستوعب هذا التطور تتناول العوالم الافتراضية بالبحث ، كعلم الاجتماع الافتراضي وعلم النفس الافتراضي... الخ (10 : 243. 301).

3. ما بين مفهومي الاتصال والثقافة واللغة من تعالق واتصال في الدلالة:

. الاتصال كمفهوم مجرد لفعل إنساني يعبر به عن وصل شيء أو ذات، بشيء أو ذات أخرى في زمان ومكان، وهو نقيض فعل الانفصال والقطع، وبذلك فهو مفهوم يدل على الوجود المسبق لمفردات الوجود ككيانات وهويات مستقلة في أنساق مغلقة، ويعبر عنه في الوقت نفسه . حين إنجازه . عن إنهاء حالة الانقطاع والانغلاق واللا اتصال، فمفردات الوجود في فرديتها وخصوصيتها تعيش وتستظل بفضاء واحد للعيش، خلق من أجل استيعاب سنة التعدد والتمايز، وهو ما يتيح إمكانيات واسعة لإنماء وتفعيل سنتي الاتصال والانفصال في نطاق شروطهما الوجودية والثقافية، فلا شيء في عالمنا منفصل تماما، ولا شيء منعدم في الآخر تماما. فالاتصال يحمل معاني الانفصال، والانفصال يحمل معاني الاتصال. فحركة الوصل . المصاحبة لحياة الإنسان طفلا أو رجلا . بالآخر بوصفه موضوعا ملحقا أو ذاتا مستقلة، وفي حالة الخطاب المباشر الحواري وتبادل الإيماءات في صيغة (الأنا /الأنت) أو في حالة الخطاب غير المباشر في صيغة (الأنا /الهو) وبناء العلاقة عبر الاتصال الفكري واستحضار التاريخ وقراءة الكتب، فكل هذا الوصل والاتصال هو ثقافة في حد ذاتها،

أ.د. العربي فرحاتي .

. والثقافة " Culture " تعني في الأصل الأوربي، صلة الإنسان بالأرض، وهي ترميز قد يكون اعتباريا للصلة بين الذوات وعالم الأشياء والمواضيع، وتعني في النطاق الاجتماعي والنفسي علاقة وصل متبادلة بين الفرد والمجتمع وأشياءه، بما يسمح بممارسة ذهنية للتركيب النوعي الواعي والتآلف بين عناصر دينامية المجتمع (الأفراد، الأفكار، والأشياء) وهي صلة سامية ذات معنى وفعالية، تنتج الثقافة من حيث هي كما عبر عنها مالك بن نبي (تركيب العام لتراكيب جزئية (الأخلاق، الجمال، والنطق العملي، والصناعة،) (11 : 38. 91)) وتعبير نفسي مستوحى من الدراسات القرآنية تعد الثقافة ذلك النشاط الإدراكي الشعوري (الأنا المدركة للوجود) من حيث هو نقل واع لمفردات الوجود من حيز الحضور إلى حيز الوجود (من التجربة الحسية إلى الترميز والتجريد) بإطلاق الأسماء (وعلم آدم الأسماء كلها)³ واستندماجها ضمن النظام الإدراكي والحيز الشعوري (الأنا) كخطوة أولى لتوليد المفاهيم والأفكار وإنتاج الثقافة والعقل الجمعي، وبالتالي فالثقافة هي مفهوم لإنتاج الأفكار وتوليدها قياسا على الإنتاج الزراعي، وتعتبر عن وثوق الصلة والرابطة بين الفرد وبين عالم أشيائه (المجال الحيوي) وعالم أفكاره (المجال النفسي) وأن إدراك الشخص ما بين الأشياء من علاقات وما بين الأفراد من نظم معيارية وعقل جمعي والقدرة على تمثيلها في أفكاره وسلوكاته، هو ما نسميه بالشخص الثقافي المتصل، وبفقدان تلك الصلة بالمجال الحيوي يصبح الفرد في حكم الموت المادي، وفقدانها في المجال الروحي يصبح في حكم الموت النفسي، والثقاف هو تبادل واع . على مستوى أفراد المجتمع أو على مستوى الثقافات . لتجربة إطلاق الأسماء وإنتاج الأفكار والمفاهيم، بحيث يتحدث ذلك أثارا بينة على الشخصية سلبا أو إيجابا، فالثقافة هي الشرط الوجودي لعملية التركيب والتآلف بين العناصر المؤلفة للمجتمع، ومنه نصل إلى العلاقة بين الاتصال

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

والثقافة، فالاتصال ثقافة والثقافة اتصال أو هما شرطان وجوديان للحياة لا ينفصلان .

. واللغة (اللفظية، والإيمائية، والايقونية) من حيث هي نسق وبنية من بنيات الاتصال، فإنها أيضا بنية من بنيات العقل الجمعي والنسق الاجتماعي، ذلك أن اللغة لا تنفصل عن الفكر، بل هي أساسه ومن مولداته، فما يطلق عليه " توماس هال " (السلسلات، النوات، الخطابات) كمكونات للكلام وما يرتبط بها من علامات ورموز وتنغيمات وإيقاعات وكذا الإيماءات والحركات كلها حمالة لدلالات ومعاني سيكولوجية واجتماعية، وتبعث أخرى لدى المتلقي أثناء التواصل، وهو ما يؤكد أن نمو اللغة لا يمكن أن ينفصل في دلالاته عن السياق الثقافي والاجتماعي وما يسمى بالعقل الجمعي، لا سيما وأن العلاقة الإعتباطية بين الدال والمدلول أصبحت من اليقينيات اللغوية ولا تفهم إلا في ضوء التوافق الاجتماعي.(13 : 19 . 25) بل إن "جان بيير فارني" يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يرى أن الثقافة هي بوصلات للأفراد وقوائم للسلوك، وأن اللغة هي أصوات ناقلة ومورثة للثقافة وتوجد في قوالب الجهاز العصبي مما يمنحها ذاكرة جسدية تميزها عن اللغات الأخرى وأن كليهما مموّض اجتماعيا وجغرافيا وتاريخيا ينتجان التمايز والهوية . (12 : 15) قد يؤثران في منظومة الاتصال الثقافي خاصة باتجاه الانفتاح أو الانغلاق على الآخر.

ثانيا : ثنائية (الإغلاق /والانفتاح) في تجربة اتصال الثقافي .

بالاعتماد على نظرية مضاعفة الجهد يفسر الاتصال الثقافي في ضوء تطور وسائل التكنولوجيا وقنواته، على أنه تجربة للانفتاح أكثر مما هو تجربة للانغلاق الثقافي، حيث تفيد هذه النظرية أن الإنسان ضاعف أفعاله الإيمائية والصوتية باختراعه للترميز اللغوي، وضاعف من تواصله الشفوي باختراعه للكتابة واستعمالها كذاكرة تؤدي وظائف الاتصال غير المباشر، حيث وظف أدواته

أ.د. العربي فرحاتي .

المعرفية والمنطقية في خبرته التواصلية، وتمكن من التعبير المنهجي الايقوني عن أفكاره وإيصالها للآخر في وضوح، وضاعف من قدراته الكتابية في الاتصال باختراعه للوسائط الجماهيرية، حيث تمكن من تخطي إكراهات المكان وخاطب مستمعيه ومتلقيه بصفة شبه مباشرة عبر قنوات تكنولوجياية، وضاعف من قدرة تلك التكنولوجيات الاتصالية باختراع الاتصال الالكتروني المعلوماتي، حيث تخطى بها الإكراهات الزمكانية . فهذا الارتباط العضوي للاتصال بتكنولوجياته، مكن الإنسان من مضاعفة الاحتفاظ بماضيهِ كثقافة وخبرة قابلة للاستدعاء والتوظيف حسب الحاجة في مواقف المواجهة أو الاحتماء أو التنبؤ، كما جعله أكثر تواصلًا بثقافة الآخر والاستفادة منها وإعادة صياغة مدركاته بما يقتضيه التكيف مع التغيرات، ومن ثمة فتجربة إبداع الاتصال التكنولوجي . كما يفترض فيها . لن تكون إلا تجربة لانفتاح مفردات المجتمع في شكل علاقات بينية أو بين ذات وأخرى تنتج الوعي والنقد باستمرار. فالوسائط التكنولوجية ابتداء من الوسائل البصرية، إلى السمعية البصرية المدمجة، فألى ما يسميه بن علي الآلات "الانسانية" الذكية، هي آلات للانفتاح والتبادل الثقافي وإنتاج التنوع وإعادة البناء والتركيب للمدركات العقلية الفردية منها والجمعية، ومع ميلاد كل تطور تكنولوجي تولد مرحلة ثقافية جديدة، حيث أن لكل مرحلة بنية اجتماعية وعقلية متقدمة ومتميزة عن سابقتها . ومن ثمة فالوظيفة الطبيعية لتطور تقنيات الاتصال هي مضاعفة وتوسيع انفتاح الذات على الآخر، وتثاقف بين الذوات وتبادل للتأثير، ينتج العلاقات الندية والتعاون والإحسان والإخاء والحب والتقارب والتآلف... الخ ويدرج فيها الآخر كمتعاون ومشارك نافع ومشروط نوعي. وهي أي التكنولوجيا في وضعها الحيادي، في خدمة نمط الاتصال الموجب الذي عرف في التجربة الإسلامية كما روى التاريخ ذلك في التعايش بين الثقافات والأجناس المتنوعة

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

والمتباينة في اللغة في فضاء فيزيقي وعقدي رمزي واحد تحت شعار (الناس نوعان أخ في الدين وأخ في الإنسانية).⁴

إلا أن هذه التجربة الاتصالية للإنسان ظهرت في وجهها الآخر. لا سيما في ظل ثقافة الخوف من الآخر. كما لو أنها تجربة متدرجة نحو التعقيد، حيث تبدوا وكأنها تاريخ يميل إلى الانغلاق بدل الانفتاح، فكثيرا ما يؤول الاتصال إلى إعادة إنتاج حالات الإغلاق والتباعد والانفصال والانعزال، فقد بني الإنسان كفرد أو مجتمع علاقته التواصلية في ضوء ما يسمى بـ " الآخر فوبيا " وفي ضوء علاقات السيد بالعبيد أو القوي بالضعيف واستحضار الصور النمطية وأدبيات السلب والعدمية والصراع والهيمنة والاستعمار والاختراق والاحتواء. وهي صورة للانغلاق والإغلاق على الذات تحضر في التمرکزات الذاتية بقوة، وتتمظهر على شكل الإقصاء والتباعد والإكراه وعدم الرضاء، ويدرج فيها الآخر كمتأمر يحذر منه ويحارب أو هو صيد يجب أن يصطاد كما في ثقافات الإنسان القديم في الشمال الأفريقي . وخير مثال معاصر نسوقه على هذا الانغلاق هو الصورة النمطية لـ "الغريبفوبيا" التي كونها الإعلام الغربي عن الإسلام، ووظف تكنولوجيااته الإعلامية والاتصالية لخدمتها، تعمل على تآزيم العلاقة بين الأنا والآخر، فصورة المسلم في الإعلام الغربي وثقافته منذ الحملات الصليبية على العالم الإسلامي هي صورة للإنسان المتخلف والمتمرد والمتوحش، والأمني والجنسي الغريزي والإرهابي المعتدي...الخ. وقد طور الغرب في ظل هذه الصورة النمطية السلبية مصطلح " الإسلامفوبيا " ومن ثمة بدت ظاهرة الاتصال الثقافي تتجلى كإشكالية تطرح على مستوى علاقة المتصل بالمتصل به أيديولوجيا، وكيف تصبح علاقة متأزمة متدرجة نحو الإغلاق وإنتاج العداء والتصادم والحروب .

ثالثا : الإغلاق الثقافي الحداثي وبدائل الاتصال المعلوماتي.

1. الإغلاق الثقافي وصعوبات التواصل .

أ.د. العربي فرحاتي .

شاع في التداول الأكاديمي والسياسي مصطلح الإمبريالية الثقافية من حيث هي مجموع العمليات والخطط العالمية التي تعمل على دمج وانخراط مجتمع ما وفق علاقات اللاتكافؤ داخل النظام العالمي بالضغط والإكراه أو الانهيار، وفقا لسلطة ومعايير المركز المهيمن، وهو مصطلح ينسجم مع تشكيل العالم . بوصفه فضاء عالمي ووحدة للتحليل في التخطيط العالمي . في ثلاثة أبعاد (مجتمعات المركز المهيمن، ومجتمعات الوسط المستفيد من المركز، والمجتمعات الهامشية التابعة للمركز) وهو فضاء يولد دينامية دولية في اتجاه إنتاج اللاتكافؤ والتفاوت، في علاقات التواصل الثقافي وغيره، ويحافظ عليها بالقوة بممارسة التخطيط العالمي الصارم من حيث هو تخطيط للاندماج الدولي وفق رغبات المركز ومعاييرهِ.

(2 : 257. 262).

ونعتقد أن الآلية المفاهيمية التي طورها "مالك بن نبي " في تقسيم المجتمعات ثقافيا أيام الحرب الباردة، ما زالت صالحة أكثر من غيرها للتوظيف المنهجي، في مقارنة الإغلاق والانفتاح الثقافي للمجتمعات المعاصرة، حيث ميز بين نمطين من الثقافة، إمبراطوري: نشأ في إسبرطة وورثتها إلى الرومان وأوروبا الحديثة، ونمط حضاري: يعود إلى ما أسسته أثينا من ثقافة إنسانية تصطفي إنتاج الأفكار كأولوية عن غيرها. وإذا اعتمدنا هذه الآلية المفاهيمية فسنجد للأسف أن الطابع الإمبراطوري (القوة المادية) هو المسيطر والمهيمن على كل أنماط الثقافة الموصوفة بالتقدمية الحديثة، وقد شاع ذلك في الفكر المعاصر باسم " التمرکز الغربي حول الذات" وهي ثقافة شيطانية عبر عنها القرآن بـ " أنا خير منه" تقوم على الإقصاء والعدمية، واستحداث مسافات بعيدة بين الأنا والآخر المختلف، إن على المستوى الاجتماعي وإن على المستوى الدولي، وبقي ما يعتقد أنه أسس في أثينا وسمي بالفكر الحضري (الوثنى والميتافيزيقي) حبيس الأفكار لا واقع له، إلا وهو يؤطر كقوة ناعمة . بما ابتدعه الإمبراطوريات الثقافية من فقه التأويل

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

. لقضايا التحضر والسلام الناتجة عن القوة والمنطق الإمبراطوري كما هو الشأن في الأمم المتحدة ومقارباتها لحقوق المجتمعات الثقافية.

وتوظف تكنولوجيا الإعلام والاتصال في المجتمعات المعاصرة بقوة لإنتاج الهوية وتمركزات الأنوية ثقافيا وأيديولوجيا لا سيما في عصر ما يسمى بهيمنة الوسائط الجماهيرية حيث يوجه الإعلام وتبنى الاتصالات وفق تمثل الحشد الاجتماعي وقيم السلطة والقوة والتماهي معها كهوية تنتج الإغلاق الأيديولوجي والصرامة في نظم الإدراك والنظم الثقافية الرمزية المعرفية والنظم المؤسسية، بشكل يصعب على الآخر بصفته "متعاون" الاتصال به والتفاعل معه، ويصعب على الآخر بصفته "المتنافس أو المتآمر المتربص به " من اختراقه أو الهيمنة عليه أو تعديله. ويظهر ذلك في تمركزات مشاريع المجتمع المحافظ حول الذات التراثية الحضارية، وحضور مرجعياته الرمزية بكثافة في كل وجوده الاجتماعي والسياسي والتربوي... الخ. ويصبح المجتمع في حالة الغلق والانغلاق كما يصفه بوبر حبيس ما أنتجه من القوانين المعيارية الصارمة ورهينة حالة الثنائية الحرجة، حيث لا يتصل بالآخر إلا بما يخدم قوانينه المعيارية، ويوصف وظيفيا بالمجتمع العضوي (البيولوجي) وبالمجتمع الخطي الأحادي في منظومة الاتصال، والدوغمائي في المنظومة المعرفية.. وهو المجتمع المقابل للمجتمع المفتوح، كما يسميه "كارل بوبر" ويتصوره بأنه المجتمع المتصل والذي يتجاوز بذلك، ثنائياته الحرجة، ويتعاطى مع قوانينه المعيارية بمرونة شديدة، وأن أفرادَه منفتحون على أكثر من نمط ثقافي، وبالتالي إدراكهم يكون بالضرورة غير نمطي متأثرون في ذواتهم بالتطبعين (الاجتماعي/ العالمي). ونجد عند مفكري المابعد ما يماثل هذا التوصيف للمجتمعات، فالمجتمع المغلق وتصلب الأنظمة الإدراكية للأفراد في نظريتهم النقدية تصدق وتنطبق على المجتمعات الدينية والأيديولوجية والحدائية القائمة على منطق اليقينيّات والاحتميات، حيث يسود الاعتقاد في هذه المجتمعات

أ.د. العربي فرحاتي .

بامتلاك الحقيقة المطلقة الكلية، ويندرج ضمن هذه المجتمعات (الماركسية، والقومية، والحدائية). في حين يصدق توصيف المجتمع المفتوح في نظريتهم على ما يسمونه بالمجتمع المعرفي القائم على تعاطي المعرفة كتواصل والليبرالية الفردية والفردانية كفلسفة، حيث يسود الاعتقاد بالنسبية الشديدة للحقيقة والاحتمالية والممكن، ويعتقد أن هذه المجتمعات بدأت في النشوء منذ الإعلان عن نهاية الحرب الباردة وبروز الثورة المعلوماتية تتخطى بها الحدود الزمانية والمكانية وتتجاوز كثيرا من صعوبات التواصل في الثقافات المغلقة.

2. منشأ صعوبات التواصل الثقافي في مشهد المجتمعات الحدائية

من التمايز الحتمي في الهوية الثقافية للمجتمعات، بفعل المعطى النفسي التاريخي والمعطى الجغرافي، كما يعتقد مالك بن نبي (11 : 170 . 177) تنشأ الصعوبات التواصلية، وتبدو الصعوبة على مستوى التجانس والانسجام الفكري الذي عليه المجتمع المحلي أو الإقليمي بسيطة، حيث اللغات المشتركة والتاريخ المشترك والمنافع المشتركة والمناخ الجغرافي المماثل... الخ بينما تبدو معقدة وشائكة في نطاق اللاتجانس الفكري، وحالات التمرکز حول الهوية وفقه المؤسسة في الوضع الصناعي، كما تظهر صعوبة الاتصال في حالة الهيمنة وإدماج الكل المتنوع في الواحد كما هو الشأن في المجتمع الدولي ومختلف الإمبراطوريات والديكتاتوريات المؤسسة على الثقافة الإمبراطورية، فعلى الرغم من تبنيها لسياسة السلام العالمي والتعايش الثقافي، إلا أن منطقتها الإمبراطورية لا يولد إلا النفور والعداء والانحيازات والتكتلات والتمايزات الشديدة التي تنذر بتكرار التجربة المأساوية التي عاشتها الإنسانية في الحربين العالميتين وما تلاها من انقسام أيديولوجي تصادمي، وتكريس ما تعيشه المجتمعات من تصادم أيديولوجي داخلي، لأنه منطوق يتساق مع السيبرنيطيقا والقوة المادية والنفوذ في استخدام السيطرة على المجتمعات والناس ومراقبتهم واستدماجهم كأفراد ومشاريع ومؤسسات

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

وثقافات ضمن التخطيط العالمي، أو التخطيط المركزي للدولة باسم السلم الدولي أو الاستقرار الوطني وصناعة الأمر الواقع. وتعمق الصعوبة عندنا أكثر، حيث أن مشاريعنا المجتمعية الثقافية والتعليمية صممت منذ الاستقلال للتكيف واستيعاب ما استجد في الحضارة الإمبراطورية، تديرها عقدة الغالب المنتصر، حيث تحضر ثقافة الإمبراطورية بقوة في مشاريعنا كقيمة معيارية عليا، ونمت في ظل الدولة الوطنية القائمة على كوكتال ثقافي تصادمي غير منتج (وطنية، حداثة، أصالة، قومية، اشتراكية، حرية... الخ) فلم ينتج ذلك الكوكتال إلا نخبة من حرفيين ومهنيين في السياسة والثقافة والاقتصاد والتربية والاجتماع يديرون . كنخبة مثقفة نافذة . المشهد الوطني والوضع الثقافي المتصادم، وفق سلطة القوة تفرض بها التعايش، بلا مرجعية فكرية تؤطرها ما عدا مرجعية المصالح والرغبات واستراتيجيات التكيف والمواكبة. فهذه الصيغة للإغلاق السائدة في العالم في العهد الحداثي لم تعد تحتل في ظل الوضع العولمي وتنامي العقل التواصلية ومجتمع المعرفة وآلياته من المعلوماتية والثقافة الالكترونية، وتطرح كما لو أنها بديل عالمي نستعرض ملامحه كوضع جديد فيما يلي:

3. حول مفهوم الاتصال المعلوماتي :

المعلوماتية مصطلح يشير إلى الطفرة الهائلة التي حدثت في تكنولوجيا الاتصال من دمج لخدمات التلفزيون والأقمار الصناعية والكمبيوتر والانترنت، حيث تضاعف حجم تبادل المعلومات العلمية والثقافية والترفيهية بالكلمة والصوت والصورة، وزاد تداولها وانسيابها بين المتواصلين (أفراد، جماعات، مؤسسات، دول) بسرعة، كما يشير تقنيا (إنفورماتيكس) إلى كل عمليات إنتاج وتطوير الحواسيب أو الآلات الذكية، وإلى عمليات التصميم وهندسة المعلومات حاسوبيا، وإلى عمليات التمويل البرمجي الحاسوبي وتقديم الخدمات الحاسوبية، وهو بذلك بنية مركبة في وحدة من العلم والتقنية والإنتاج، ويشير أكاديميا إلى ذلك العلم

أ.د. العربي فرحاتي .

التطبيقي الذي يهتم ديداكتيكيا بإنتاج وتصنيع الآلات الالكترونية الحاسوبية لتصميم وهندسة المعلومات وصناعتها، وأتمتة النظم الإدارية، وتنسيق المعلومات العلمية والثقافية الهائلة التدفق من جميع مجالات الحياة، (14 : 13 . 15) وهو علم مركب من ثلاثة أقطاب حسب بعض المقاربات هي (علوم الأعصاب والعلوم المعرفية، (الفيزيولوجيا والسيكولوجيا المعرفية) وعلوم الهندسة (دراسة الفرد والآلة) والعلوم الإنسانية والاجتماعية (تأثير تقنيات التواصل) (2 : 114).

ولم يبق مصطلح المعلوماتية معزولا في إطاره التقني يدل على البرمجة الحاسوبية للمعلومات والمعارف وبناء قاعدة بيانات، أو يعني كل ما يتعلق بالذكاء الاصطناعي وما بعد الذكاء الاصطناعي، فقد امتد في معناه وارتبط بالمناخ الثقافي العام وتحولات المجتمع من طور المجتمعات الصناعية إلى مجتمعات "المعرفة " حيث صار يعبر عن هذه المجتمعات الناشئة بوفرة من الكلمات والمصطلحات في اللغة العربية منها المجتمعات ما بعد الصناعية ومجامعات المعلوماتية، ومجتمعات التواصل، ومجتمعات المعرفة والسيبرنيتية والميدياتية والتيليماتيكى والمجتمعات المعولة ومجتمعات الإعلام والاتصال ... الخ. ويأتي المجتمع الأمريكي والياباني في مقدمة هذه المجتمعات الموصوفة تخيليا وافتراسيا بالمجتمعات المعرفة، والتي بدأت في النشوء في بعض ملامحها، كانتشار استخدام الحواسيب والشبكة العنكبوتية العالمية (الأنترنت) والاعتماد عليهما كتقنيات متطورة في حل مشكلات المجتمع المستعصية، إذ أن البنية الاجتماعية القائمة على الاتصال المباشر في المجتمع الصناعي، (صناعة الآلة) أخذت الآن في الانحسار والتقهر لتحل محلها البنية الاجتماعية المعلوماتية (صناعة المعارف) من حيث هي برمجة لقضايا المجتمع من تربية وتعليم وثقافة واقتصاد وإنتاج وتوزيع واستثمار

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

وخدمات...الخ بحيث يستطيع الفرد أو المؤسسة أن يتعاطى معها ويستخدمها في اتصالاته لحل مشكلاته عن بعد بواسطة ما يسمى بـ " التيليجاسوبية " .

4 . صورة ما قبل الوضع المعلوماتي.

وقبل رؤية الوضع المعلوماتي وتفحص معالمة وتأثيراته، نذكر بأهم الاتهامات المحملة لوضع هيمنة الاتصال الجماهيري، فهو وضع قيل عنه أنه اختزل الواقع وعدله في محاولاته تقليص المسافة بين ما هو فكري وما هو عقلائي، وهي المسافة التي كانت في المرحلة الشفوية غير مرئية، وفي المرحلة الكتابية ظهرت وتوسعت، فالتحريفات والاكراهات التي أجريت على الواقع، كثيرا ما حملت الناس إلى أوهام وإدراكات خاطئة للواقع والتعامل مع العلامة باللغة السيميائية بدل التعامل مع الأشياء والوقائع ذاتها مما قلل من فرص الإبداع..كما أنها تطرح الواقع كعلامات وكصيغ نهائية معدة للاستهلاك لا للنقاش، وخضعت في ظلها المعلومة والثقافة بصفة عامة للاستهلاك السريع، كما تخضع البضاعة للتعديل، فالمنتوج الثقافي أثقل بالكمية الزائدة على حساب النوعية، فولد لدى الناس حالة اللامبالاة لكثير من الأنشطة الثقافية. كما أحدثت وسائل الاتصال حالة من الاضطراب في البنية الاجتماعية، بالتركيز على حركة المجتمع بدل التحول والتطور المعيارى الموجه، حيث يقوم ويصنف في ضوء حركاته وتكيفه مع السرعة، وليس بانتماءاته ودرجة تماهيه مع قيمه وتاريخه، فتحديد وتوجيه جدلية المجتمع في ضوء قيم الامتثال وإعادة الإنتاج والتشابه التي تكرسها الوسائل الجماهيرية جعلت من التحول الاجتماعى مجرد دوران حول الذات ولا ينتج إلا الاستلاب ووهم الحرية للأفراد وعلاقات التبعية. (15 : 319) . والتفكك الحتمى لمجتمع الوسائط الإعلامية الجماهيرية كأنساق أخذ يولد موت المجتمع، وقد بدأت معالمة في بروز الظاهرة المعلوماتية، تؤثر على اللغة والعقليات والبنىات الاجتماعية بصورة عميقة كما تعكسها الدراسات المتخصصة .

5 . فتوحات المعلوماتية والتحولات الاجتماعية :

بناء على التعريف الذي يوصف بالملائم للمعلوماتية والذي صيغ على أنها (نسق التواصل الذي تحضى فيه اللغة الآلية بالامتياز من طرف مجتمع ذي عقلية افتراضية وبنية اجتماعية خلوية) . يوحى إلى أن تطور التكنولوجيات سوف يؤدي إلى تحولات عميقة على مستوى اللغة والبنىات الاجتماعية والذهنية ومنه ينبثق ما يمكن أن نسميه النظام المعلوماتي المجتمعي . (2 : 187) . ولرؤية ذلك وبداية يجب استحضار معلومة أن كل نسق تواصلي ثقافي يتموقع داخل فضاء اجتماعي ملائم، فالقرية هي فضاء يلانم الاتصال الشفوي، وفضاء المدينة هو الأنسب للاتصال الكتابي والأيقوني، والمجتمع كفضاء، هو الأنسب للاتصال الجماهيري، واستحدثت المعلوماتية فضاء أنسب لها وهو فضاء الكابلات وسراديها وطرق سيارة للمعلومات والمعارف (الأنترنت) والعوالم غير المرئية والخلايا المغلقة ويسمى الفضاء الإلكتروني الافتراضي وهو فتح جديد للفضاء الثقافي والتواصلي ينشط على مستوى الفضاء الكوني العالمي، فالانتقال التراكمي من التحكم في وظائف البث والاستقبال المعلوماتي وإلى برمجة عمليات الترميز والفك والمعالجة للمعلومات وتصغير الأحجام وتقليص المسافات ومعالجة المعلومات، وإلى المعالجة المنطقية والحوارية وبناء العوالم الافتراضية والاتصال عن بعد، يظهر وكأنه فتوحات من حيث هي سلسلة متتالية من التأثيرات على أسلوب وطرق إدراك الواقع، وبالتالي توليد وإبداع وتشكيل واقع اجتماعي جديد . لاشك أن كل ذلك ينهي حالة الانغلاق أو على الأقل يعيد البوصلة في اتجاه الانفتاح . فالكتابة الإلكترونية وتأثيراتها على الحواس والنص الإلكتروني وتأثيراته على الفكر، والمكتبة الإلكترونية وما تفتحه من آفاق وفضاء حضاري أشمل هي من فضائل المعلوماتية في إنتاج ما تفضل " فريال " تسميته بإنتاج الفكر الممنهل من حيث هو فكر تعددي تضمنه بنوك المعلومات والشبكة الإلكترونية . (15 : 519) .

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

وبذلك فالحواسيب تطرح نفسها كـ " اللوغوس الجديد " يساهم بطريقة أخرى في تشكيل البنيات الاجتماعية، حيث يقوم في ضوء برمجة المعلومات وإمكانياته في المعالجة بمراقبة المجتمع وبيئاته، بل وبرمجته وتسييره . وأن خاصية وضع المعلومة . من حيث هي شيء يمكن ملاحظته . داخل عالم فيزيائي معقلن بتقنية الرقمنة الرياضية ساعدت على تقطيع الواقع وتجزئته، وفي ذلك ضمان لإنجاز الدقة والتحكم، وأن إخضاع الكلام لمنهجية صارمة هو إنتاج لمعايير التحكم جديدة في التواصل الاجتماعي، حيث يجري ضبط دلالات الرسائل لتخضع لأجوبة المتلقين، وتقلص من العلاقات المضطربة والهيمنة بين المرسل والمتلقي، وأن البرمجة الحوارية تسمح بإجراء حوارات وتفاعلات بين الآلة والأخرى، وبينها وبين الذات البشرية . وأن الكمبيوتر ما هو إلا امتداد إيجابي للعقل ومضاعفة جهوده في الذاكرة والتذكر والتخيل والتصور، حيث يجري الحديث عن انبثاق وعي كومبوتري يوجه الحياة بممارسة التأويل والاختيار والتفضيل بين هذا الموضوع وذاك أو بين هاته القيمة وتلك، وفي الانترنت ينتهي الوضع الفيزيائي ويجري استبداله بالواقع الافتراضي وهو واقع ينهي كل إكراهات الزمان والمكان السائدة ما قبل المعلوماتية . وفي مجال البنية الاجتماعية تؤذن المعلوماتية بعصر جديد لبنية تختلف عن سابقتها في الوضع الثقافي (هيمنة الشفوي، أو هيمنة الكتابة أو هيمنة وسائل الاتصال الجماهيري) فيعتقد الباحثون الاستشراقيون أن الفضاء السيبرنيطيقي والعالم المرقمن سهيمن على العلاقات ويصوغها في النماذج الخلوية، خلوية الفرد والمجتمع والسلطة) وهي خلويات تزيج ما هو موروث من العهد الشفوي من الوجود المادي للعلاقة والتماهي مع الجماعة دون النقد، وإزاحة ما أضيف لها في عهد الكتابة، من مضامين فكرية للعلاقة بين الذوات المنفلتة عن الوحدة الفكرية وإزاحة سلطان التقنية السائد في هيمنة الوسائط الجماهيرية وحالة اختفاء الآخر وراء التمثيل الوسائطي. (2 : 182 . 187) .

أ.د. العربي فرحاتي .

وبروز هذه التقنيات وانتشارها السريع في الاستخدام اليومي المبذل أخذت الحياة الاجتماعية والفردية في تغير عميق بشكل يظهر وكأن المجتمع البشري ينمو في ظل حتمية جديدة، سميت بالحتمية المعلوماتية كظاهرة عالمية، أخذت تحل محل الحتمية البيولوجية أو الحتمية الاجتماعية، مما استدعى إنتاجها كمفهوم " تقني ثقافي " يساهم في تفسير تغير المجتمع الحديث. فما أظهرته الدراسات الأولى حول آثار المعلوماتية في التغير الاجتماعي يؤكد على أننا أمام بلورة مجتمع جديد يتميز عن المجتمع الصناعي في أنه أكثر ارتباطا بالسيرنيطيقا، وتختفي فيه تدريجيا الحاجة إلى العمل، وتحول العمل اليدوي والآلي إلى العقلي، والفيزيائي إلى الفكري والافتراضي، وحتمية اختفاء الهياكل الاجتماعية والمؤسساتية القائمة على الهرمية والتراتبية مستقبلا، كالطبقة العاملة والتنظيم الهيكلي للمؤسسات البيروقراطية. (14 : 95 .104).

وسرعان ما تباينت الدراسات والنظريات في نتائجها حول هذه التغيرات من حيث إيجابياتها وسلبياتها، وانقسموا بين طموح ومتفائل، ومحذر متشائم لا سيما في المجال التربوي (21: 29 . 44) . فمن المختصين من يعتبرها قيمة إيجابية اجتماعية تطويرية وتقدمية، تساعد البشرية على مواجهة مشكلاتها في الاتصال والتواصل والتربية والاقتصاد والاستثمار بتقنيات متطورة تيسر الحياة والعيش، فالفوائد التي تجنيها البشرية من نمذجة المنظومات الاجتماعية المعقدة وتوفير قاعدة بيانات ومعلومات وإدارتها ومعالجتها حاسوبيا لا تعد ولا تحصى، حيث أنها تيسر على المستوى الفردي عملية الإبداع بما تقدمه هذه النمذجة الحاسوبية للحياة الواقعية والمستقبلية الافتراضية، وبما تقدمه في مجال الاتصال الثقافي الفني والتقني من خدمات لم يسبق لها مثيل، فالنمذجة الافتراضية للمعلومات المجتمعية، تشكل في ذاتها موردا معرفيا يغني الإنسان عن كثير من الأساليب التقليدية في الاتصال والتواصل واستخدام المعلومات والبيانات في تخطيط وإنتاج

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

المعرفة واستثمارها، ففي المجال التعليمي على سبيل المثال تنمذج الاتصالات البيداغوجية الالكترونية في القسم الالكتروني والأستاذ الالكتروني في صيغة العوالم الافتراضية بشكل يوفر الإثارة اللازمة للتعلم، وفي مجال البحث تنمذج المعلومات المكتبية والبيبليوغرافية الكترونيا بصفة مفتوحة قابلة للزيادة والنقص بالإضافة والحذف وتبرمج بشكل يوفر إمكانيات التصحيح والتغيير والترتيب والتصنيف والتحليل والتركيب والمعالجة الآلية للمعلومات بتقنية الحوارات الآلية والتناص والتداوت بحسب رغبات الباحث وحاجاته البحثية (14 : 17 . 18) .

وفي مجال الاتصال فقد صار الحديث عن العالم القرية والذي اختفت فيه اكراهات الزمان والمكان وانتهت فيه معظم مشكلات الاتصال التقليدية، لاسيما في الوضع المتطور للمعلوماتية، فبانتقال المعلوماتية من طور تقنيات الاتصال التيليماتيک التي تعني الاتصال السمعي البصري الجماهيري إلى ما يود النقري تسميته ب البيوماتيك والتي تعني الوصل الشبكي المتداخل معلوميا، بين النظم البيولوجية والنظم الآلية (بيو. آلي . معلومي) تطورت خدمات الآلة الالكترونية بهذا الدمج في المجال الاتصالي، وصارت توحد وتجمع بين التواصل عن بعد تخاطريا، والتواصل عن بعد آليا (14 : 19) .وبإبداع العوالم الافتراضية الالكترونية (المدرسة الالكترونية والحكومة الالكترونية والجامعة الافتراضية والأستاذ الافتراضي والزميل الافتراضي...الخ استعجل تقدم المجتمع وانتقاله من وضع المركزية الإدارية البيروقراطية وإكراهاتها إلى اللامركزية والمبادرات الفردية، وثقافيا من مجتمع هرمي قيمي مغلق في اتصالاته وتواصلاته إلى مجتمع أفقي مفتوح وشبكي في اتصالاته وتواصله، وسياسيا من مجتمع تمثيلي إلى مجتمع تشاركي، وتربويا من مجتمع نظامي وتنظيمي نمطي في تعليمه إلى مجتمع تفريدي وذاتي في تعلمه، ومهنيا من مجتمع تشغيلي إلى مجتمع خدماتي وعمالة ذاتية .)

14 : 95 . 104) فالمعلوماتية في النهاية هو انتقال للمجتمع من مجتمع متركز حول الآلة الصناعية إلى مجتمع متركز حول النشاط المعرفي للإنسان .

6 . مآخذ على الوضع الاجتماعي للمعلوماتي

إلا أن هذه التغيرات العميقة والموصوفة بالاجيائية، تظهر في قراءات استشرافية أخرى في غاية السلبية بمقاييس الحرية ذاتها، فمن حيث اللوغوس الجديد وفتوحاته فقد بينت الدراسات أنه مجرد معالجة افتراضية للواقع كثيرا ما جانبت الصواب تحت هاجس التحكم في دقة التواصل، فضاء إنجاز المعنى من حيث هو " حسب لويس بريطو " (العلاقة الاجتماعية التي تقيمها الإشارة بين المرسل والمتلقي أثناء الفعل السيميائي) للمعلومة، وبسبب تقطيع الواقع وتجزئته وتمثله بصفة تقريبية ضاع الواقع ككلية ووضعية، حيث تختفي مرجعية التمثيلات الذاتية بحجة التخلص من عوامل التشويش . والتفاعل والتواصل الذي يتيح الكومبيوتر بجميع أنواعه كحوار متبادل، إن هو إلا حوار في ظل البرمجة الصارمة للكلمات والجمل والمسارات والاستجابات وانتقال الأدوار خارج نطاق التداوت، حيث تتم المشاركة في الحوارات المبرمجة معلوماتيا كمواضيع مبرمجة وليس كذوات فاعلة لفقدان التواصل الرمزي الذي يتطلب المشاركة بين ذاتيتين نوعيتين (2 : 171) . وعلاقة اللغة بالطبيعة الفيزيائية للموجودات أصبحت غير موجودة في الوضع المعلوماتي، فاللغة التي وجدت من أجل الشيء في الوضع الشفوي وفي الوضع الكتابي والفكري المجرد والمعتقل، صارت في الوضع المعلوماتي كعلاقة غير موجودة لا في الأشياء ولا في الفكر ولا في الوسائط، فقد أصبحت في المعالجة الآلية بدون مرجعية، وبالتالي لم تعد موجودة من أجل الشيء بقدر ما أن الشيء موجود من أجل العلاقة ولا يمكن النفاذ إليها إلا بالوسائط الالكترونية وأدواته. (2 : 173) كما أن إخضاع الكلام كنص وكخطاب للسيبرنيطيقية وقواعدها الصارمة في التحكم ينقل السلطة من الذات إلى الآلة وشروطها في

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

البرمجة، وتصبح هي المعنية بالفكر وليس الإنسان، حيث يصبح الكلام تابعا للتحكم ومقتضياته، فاللغة المضبوطة المبرمجة وفق شروط البرمجة الآلية لا تعبر إلا عن فكر مضبوط خال من العواطف الإنسانية والمشاعر، وأن كل ما يتعلق بوظائف الجانب الأيمن للدماغ من مشاعر وعواطف إنسانية، سوف يبقى خارج نطاق الآلة حيث يستحيل برمجتها كلغة إنسانية شفوية، وهو ما يجعل مستويات الرمزية في منأى هي الأخرى عن البرمجة، وهو ما يجعلها (أي اللغة والأنظمة الرمزية) في حالة البرمجة تتفاعل في دائرة المعلوماتية المبرمجة وتتحكم في توجيهها محرفة لحقيقتها.

ومن حيث التأثيرات العقلية فالكومبيوتر والعالم الافتراضي سوف ينشط خارج إطار الدماغ الإنساني. كما يدعي. بفضل ما يتوفر عليه من ذاكرة ومعالجة للبيانات، ويظهر ذلك جليا في التعاطي مع الزمن والعلاقة بين الواقع والمخيل، فالزمن الذي كان يلغي التاريخ والسيرورة والعودة لما هو أصل وخالد ومستمر في الانبعاث في الزمن الطبيعي السائد في الوضع الشفوي، والزمن في زمن إبداع الذاكرة الإضافية (الكتابة) وهو زمن اجتماعي يعطي للذاكرة قسطها كتاريخ اجتماعي (الزمن الاجتماعي)، والزمن الممكن والمبرمج في عهد الوسائل الجماهيرية والمختصر في إعادة الإنتاج والاستهلاك الرسائل، صار في الصياغة المعلوماتية للمجتمع كما لو أنه "سريع ولما هو فوري على حد تعبير "إدمون شوكو" إذ يعتقد أن يتقلص الماضي كذاكرة ويصير التاريخ مجرد معلومات للتجميع والتفكيك، وستنبعث اللحظة المعيشة، ويصبح الواقع مجرد علامات تعرض بالوكالة عن الواقع ناقصة، وستختفي الذاكرة الجماعية لصالح الذاكرة الفورية.

وأما في مجال العلاقة بين الواقع والمخيل كممارسة عقلية، لم تعد علاقة تماهي وتوحد كما هي في هيمنة الوضع الشفوي حيث اللامرئي والأسطوري يتعايش مع الواقع المعيشي، ولا مكانة للتميز من حيث هو تهديد للوحدة، ولم يعد

أ.د. العربي فرحاتي .

للحالة الاستقلالية لكل من الواقع والخيال وجود، فالواقع الذي كان مساحة للعلم (الوضعي والميتافيزيقي، والثيولوجي) ووجهته المركزية، لم يعد متاحا، والمخيال الذي كان مساحة للشعر والشعرية والإلهام والحدس، لم يعد يعتد به، ولم يعد ذلك المد والجزر . كممارسة عقلية . بين الواقع كمساحة للحياة اليومية وجود ذا قيمة، ولم يعد المخيال كمؤطر للحياة اليومية في كثير من الحالات في وضع هيمنة الاتصال الجماهيري فعالية، حيث صارت الحياة برمتها افتراضية تمثيلية مرقمنة تظهر عناصرها وكأنها في دور بالوكالة ناقص ومشوه لكمال الحياة، وأن مخيال الكومبيوتر ما زال طور التكوين في مخيال المهندسين، حيث يسعون إلى تطوير الآلات الذكية تحوي الصور الذهنية والمتمخيل التكنولوجي من خلال اصطناع المكان والزمان والابتكارات البصرية .

أما في مجال البنية الاجتماعية، فالفرد من حيث هو الوحدة الاجتماعية سيصبح هو الآخر في الوضع المهيمن للوسائط الالكترونية برنامجا وشخصية افتراضية يتعامل معه الإنسان عبر الوسائط الالكترونية، حيث لم يعد متماه مع قيمه أو مجتمعه كما هو الحال في هيمنة الشفوي، ولا هو مستقل بـ "أناه " ومستقل عن جماعته كما هو في العهد هيمنة الكتابة، ولا هو ممثّل ومعمم في السياق الاجتماعي العام كما هو الحال في هيمنة وسائل الاتصال الجماهيري، حيث يصبح في المعلوماتية متخذقا في دائرة مجردة تعزله كذات وعواطف وتاريخ وسيرورة وإيحاءات وعقل، وينمط الإدراك في نظام مرجعي بصوري تحكمي، ويتم التعامل مع المعلومات في نطاق الترابطات بين المعطيات المقننة، فالحق في الاختلاف وحق الوجود الشخصي بدأ ينافس الديمقراطية والمساواة، وهو ما يمهد لوضع يجعل خلوية الفرد حقيقة .

وحق الاختلاف سيؤدي إلى حقوق الفئات، وهو ما يقود إلى هشاشة الاجتماع والتفكك وأن هذه الأخيرة سوف تؤدي عاجلا أم آجلا إلى خلوية السلطة، حيث لا

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

يبقى لسلطة التقاليد وعقلية وبيداغوجيا التوضيح في الوضع الشفاهي وإنتاج التجانس والاستقرار فعالية، ولا يبقى للمبادرة الشخصية وسلطة الكتابة والنخبة فعالية، ولا يبقى للآخرين بوصفهم مرجعية وكلية اجتماعية سلطة ووجود وفعالية في هيمنة سلطة الوسائط الجماهيرية، حيث تصبح السلطة في الوضع المعلوماتي المعقد . اجتماعيا ومؤسسيا . والميسر تكنولوجيا لصالح التقنية ومهارة الممارسة، حيث يترك المسؤولون مكانهم في التحليل والتشخيص واتخاذ القرار للتقنوقراطيين المتماهين مع الوضع المتغير. (2 : 171 . 180) .

ومن جانب آخر فقد كشفت هذه الدراسات أن الاعتقاد بالحتمية المعلوماتية، وتقديم المعلوماتية على أنها العصا السحرية في معادلة التقدم، هو اعتقاد وهمي، لأن ما يظهر من تقدم في المجال التقني المعلوماتي هو تقدم في اتجاه انحسار إرادة الإنسان وتقليص دور الذكاء البشري لصالح الذكاء الاصطناعي وتسحر العلاقات الإنسانية وتفاقم ظاهرة الصمت، وقد أخذت الوضعية المعلوماتية في إنتاج ضروب من الاغتراب والشعور بالدونية أمام الكائنات الالكترونية الجديدة، وهو ما يشكل تهديدا لصورة الإنسان المبدع، كما أن الألعاب الالكترونية ونمذجة الواقع وتصنيعه في نماذج جذابة أصبح هوسا للصغار والكبار يبعث على استفحال الإدمان، مما قد ينتج عنه أمراض نفسية مزمنة وأمراض كهرومغناطيسية أشد . وقبل ذلك فظهور مظاهر في المجتمعات الالكترونية كالاغتراب الفكري والمعلوماتي وانتشار البطالة، وخضوع الإنسان للرقابة الالكترونية والاعتداء على الملكية الفكرية والتأليف وتقليص حرية الاختيار بالحتمية الالكترونية وما يسمى جرائم والشر المعلوماتي (10: 196) قد بدأت في الانتشار ولا ندري ما ذا تخبئ لنا ما يسمى بعلوم التفكير " الكوجيتولوجيا " من برمجة العقل وتنميط الإنسان وتحويله كآلة عكس تقنية الروبوت . (14 : 18 . 29) فكل هذه مظاهر سلبية بدأت تطفوا على السطح مما سيجعل المعلوماتية

أ.د. العربي فرحاتي .

رغم ما تقدمه من خدمات، بحسب هذه الدراسات الاستشرافية غير المتفائلة وبال
على الإنسان ذاته (14: 84. 87).

7. مبررات التقنومعلوماتفوبيا

رغم ما تبشر به الدراسات المتفائلة للمعلوماتية . كما أسلفنا . من انتقال
مبكر للمجتمع التكنوقراطي المعلوماتي وما توفره المعلوماتية من شروط الحياة
والإفادة اللامحدودة من خدماتها في مجال الاتصال والعلم والتجارة والتربية
والاقتصاد، إلا أن سلبياتها . المذكورة . كتقنية بعثت مخاوف عند ما يسمى بحركة
"العلم الجذري" . وهي حركة متشائمة من التطور التقني . عرفت هذه المخاوف
بمواقف " التكنوفوبي " تجاه المعلوماتية واتهامها على مستوى تطبيقاتها وما تولده
من ظروف اجتماعية، بل تجاه ما تشكله تطبيقاتها من تهديد حقيقي لحرية
الإنسان وإنسانيته (14 : 45 . 47) . ويمكن تفصيل مبررات هذه المخاوف
إجمالاً في ما يلي :

أ : مبررات تتعلق بأزمة الهوية :

الهوية من حيث هي . كما يعبر عنها فلسفياً . التفرد وعدم الاشتراك مع الآخر
في عناصر الدلالة على كونه هو هو، هي مرادفة للذات من حيث هي التمثل
الاجتماعي لمركب فكري ووجداني ووجودي ومنطقي ناتج عن التفاعل الطبيعي بين
الفرد والمجتمع عبر أنظمتها التواصلية وأدواته (اللغة، والوسائط المجتمعية
المؤسسية). وهو التمثل الذي تأسس عليه الإنسان كوجود ثقافي متميز بهويته عن
سائر الهويات الأخرى، ومن ثمة إعادة تأسيسه كهوية أخرى وفق العناصر
المضافة إلكترونيا من خارج المجتمع الطبيعي (الآلة الحاسوبية) هي الأزمة، ومحل
انبعاث الخوف والقلق الوجودي من الوضع المعلوماتي كوضع افتراضي للحياة
ونقل للحياة الطبيعية إلى الحياة الإلكترونية، فالحاسوب كائن ينتج هوية ويحدث
حراكاً في بنيتها ووظائفها. إذ أن المركب "الإنسان " لم يعد فرداً علماً كما هو في

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

الحالة الطبيعية، بل هو فرد مركب (الإنسان/ الآلة)، وأن المجتمع لم يعد منظومات وأنساق ومعايير وأخلاق، بل هو مركب من تواصلات واختراقات الأنترناتيين الالكترونيين، والفضاء لم يعد محض طبيعي فيزيائي محدد تنتهي فيه وجود الإنسان، بل هو فضاء افتراضي مفتوح لا متناهي تبدد فيه خصوصيات الجسد والهوية النفسية، وأن العقل الجمعي لم يعد يتشكل في نطاق الثقافة المجتمعية وحدودها الرمزية، بل هو من تشكيل القرية الالكترونية العالمية يتبدل ويتغير حسب إرادة الآخرين والآلة التقنية والبرمجة في معظم الحالات. فتفويض الحاسوب . بما جهز به من تقنيات متطورة في الاتصال والمعالجة المعلوماتية . هو تفويض للتصرف في العقل والفكر والثقافة والسلوك بدون حدود بشكل يهدد أمن الهوية.. حيث أن الوضع الافتراضي جعل . أو سيجعل . من الإنسان (فردا أو جماعة أو عقلا جمعيا) مركبا آخر فاقدا لهويته الطبيعية، ويتعرض للمسح والتدمير والاختراق لهويته الطبيعية عبر وهم حرية الاتصال والتفاعل مع الآخر المركب الالكتروني مثيله، ويتعرض لذلك بما يتيحه أولا العوالم الافتراضية من إنتاج وفير للأفراد الأنترناتيين ذوي الوجود المحلي والتفاعل العالمي الحر بدون حدود زمانية ولا مكانية ولا رمزية ولا قيمية. وبما يتيح ثانيا من تأسيس لصيغ المجتمع الأنترناتي (إلكتروني) كمحيط للتفاعل بديل عن المحيط الاجتماعي الطبيعي. وبما هو أخذ فيه ثالثا من إعادة صياغة العقل الجمعي الالكتروني الذي يتشكل في نطاق التحكم الالكتروني والسيطرة الآلية والبرمجة والدقة، مما جعله يتعرض بسهولة للتغير والتبدل والحركية في الهوية بحسب ما يتعرض له المتفاعلين من أعضائه المنتجين له في المجتمع الأنترناتي بحسب الرغبات الشخصية ورغبات الآخرين. (16 : 303 . 338) . ومن ثمة فالتحدي الذي كان يواجه الإنسان النخبوي خاصة ويثير مخاوفه، على مستوى فقدان قدرته في التحكم والسيطرة وقيادة الآلة، في الوضع الصناعي، فإنه الآن في عهد المعلوماتية والوضع

أ.د. العربي فرحاتي .

العولمي تحدي أكبر حدة، حيث يواجه الإنسان على مستوى وقاية هويته التكوينية والرمزية، على مستوى ما يتعرض له من تنشئة تلقائية إلكترونية تبعده عن سياقاته الروحية، وعلى مستوى ما يتعرض له من تنشئة قصدية ذات أهداف مؤسسية تتعارض مع أهدافه كتمثل اجتماعي، وعلى مستوى ما يتعرض له من إغراء وإغواء للبرامج الخدماتية التي ينتجها المهندسون ويتحكم فيها التكنوقراطيون . فعبر هذه المستويات من التحدي يجري تأثر الفرد الطبيعي والمجتمع الطبيعي بالآلة الالكترونية . فالعالم المفتوح النهايات وتأسيس الأوضاع اللامتناهية للحياة تفقد الإنسان حدوده الثقافية وخصوصياته الذاتية كهوية (جسد ونفس) فيفقد ثبات شخصيته ويفقد صدق معلوماته ويفقد أسراره وحصانته ويفقد مكانه ويفقد إرادته بمكننة الحياة وبرمجتها. وهو مدعاة لعلماء النفس والاجتماع خاصة لبحث إنسانية الإنسان كجوهر لهويته الروحية والجسدية.

ب. مبررات تتعلق بتزامن صراع متناقضات الأيديولوجية

على الرغم من التفاؤل الذي أبداه المروجون للمعلوماتية أمثال (نيلسون، وأيزنشتاين/ وماكلوهان، وغيرهم) إلا أنهم لم يخفوا تحذيراتهم من أن المعلوماتية قد تثير حروبا لا سيما في المجتمعات الطائفية المغلقة أيديولوجيا، كما يمكن لها أن تنتج السلطة والتسلط من جديد، ومن هنا يظهر حجم المشكلة عندنا، فهي تواجهنا كإشكالية عميقة ومركبة، يحس بها كل من السياسي والتربوي والإعلامي والاجتماعي... الخ . والكل يتوجس خيفة مما تثيره المعلوماتية من مشكلات على مستوى البنيات الفكرية ابتداء ثم البنيات الاجتماعية التي قد تؤدي إلى حروب في مجتمعاتنا المغلقة. ومن هذا المنظور فقد تناولتها (فريال مهنا) من حيث هي مشكلة المواجهة المتزامنة بين الفكر الممنهل(hypertext) من حيث هو فكر تعددي تفسيري، والفكر الأحادي السائد عندنا والمنتج للإغلاق على

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

المستوى الأسري والمؤسسي التربوي والسلطوي السياسي. إذ أن التراتبية والسلطة والخطاب الأحادي والاحتكاري هي الآن موضع التفكير بوسائل معلوماتية إلكترونية لا تقبل التحكم، وتفلت بشكل تقني عن المراقبة، بإنتاج عناصر التفاعل الحضاري الممنهلة (النص والعقل، والفكر) وهو ما بعث في الكل السياسي فئات أيديولوجية، مهنية، سلطوية، دينية، إثنية، تعليمية... الخ) قلقا وجوديا وسياسيا من حيث أن كل شيء في حقيقته سياسي كما يقول " جيمسون" فالمعلوماتية آخذة في بعث تعدد المراكز وانتشار الحس الديمقراطي فوق وطني، وإدراج الآخر كشريك يفكك إغلاق الأنوية وأشكال والتمركزات الذاتية، (15 : 568. 570)

ج. مبررات تتعلق بإعادة إنتاج ثقافة الإمبراطورية

إن تمظهر الأنترنت بوصفها من مكونات الجيل الخامس في تطور تكنولوجيا المعلومات باحتواء كل الوسائط الإعلامية الأخرى (صحافة، تلفزيون، راديو، هاتف... الخ) وإلغائها للزمان والمكان، هي آلية للانفتاح اللامتناهي والانغلاق اللامتناهي أيضا، واللاتناهي في الانفتاح والانغلاق هو مبرر للخوف الثقافي إن صح التعبير، ففي لا تناهي الانفتاح وعدم محدوديته وضبطه، يظهر في حرية الاتصال اللا محدودة وتقليص صورة الهيمنة الثقافية العالمية باستحداث التمرکزات الأفقية وتنوع الإنتاج وتميزه، وهو ما ساعد على التغير الاجتماعي المتقدم بتفكيك الأنساق المغلقة في فضاء القرية الكونية الإلكترونية أو المدينة الكونية كما يفضل "بريزنسكي" تسميتها، إلا أنه ساعد على تلاشي الكثير من الثقافات الفرعية والاثنية بتلاشي لغاتها.. كما فسح المجال للفوضى الفكرية والسلوكية والمعرفية اللامتناهية في الانتماء، حيث ظهر التغير الاجتماعي بدون ضوابط كما سبق أن أوضحناه على مستوى التغير في الهوية . كما أن الانفتاح اللامتناهي هو انفتاح لتسويق الأفكار المغلقة للجماعات الأيديولوجية أيضا وإعادة إنتاجها ونشرها في أوساط وبيئات موصوفة بالمنفتحة، بنفس الحجم والدقة والجودة التي تسوق بها

أ.د. العربي فرحاتي .

الأفكار الليبرالية، فهي مجال للحوار بين الأنا والآخر ليس فيه أي ضمان لإنتاج التقدم والرفق نحو الأفضل.

وفي اللاتناهي في الإغلاق، يظهر في الخطاب الأحادي الاتجاه المهيمن للأقوياء المتحكمين في صناعة الثقافة من حيث النوع والحجم وآلياتها البرمجية . فمنذ مدة ظهرت الحاجة إلى صناعة الثقافة (كتب، مجلات، صحافة، برامج تلفزيونية، أشرطة، أقراص، مواقع أنترنت... الخ كريدف أو كانبثاق من حاجات الاقتصاد السياسي، فهي تساهم في إنتاج القيم الثقافية وانتشارها في العالم، حيث مكنت الثورة التكنولوجية مالكيها من صب ثقافتهم في جميع أرجاء العالم والتنافس الشرس في ذلك ساعد على الاحتكار الدولي وإعادة إنتاج مفهوم الإمبريالية الثقافية، أو عولمة الثقافة من حيث هي تنويع لثقافة الإمبراطورية، وما يسميه بيير بورديو بـ " نيولبرالية " تتأسس على الداروينية الاجتماعية والبقاء للأقوى بمعايير تكنولوجية وسلطة التكنوقراطيين، فاحتكار اللاعبين الأقوياء للإنتاج المعلوماتي الثقافي قلص إلى حد كبير من معنى وفعالية التنوع والاختلاف، وساعد على تنميط الفكر البشري، ونقص تكافؤ الفرص لكل الثقافات واللغات في التنمية (17 : 63 . 69) بل حول التنوع والتعدد كخاصية مجتمعية في الوضع الديمقراطي كما يعتقد تشومسكي إلى مبدأ التسلطية في ظل انتشار حكومات الفنيين التكنوقراطيين، (18 : 169) وبدت الثقافة المحلية تتجه نحو التنميط والتوحيد والعولمة بشكل يصعب مقاومته حسب "بيير" مع تدفق البضائع والنزوع في الوقت نفسه نحو إحلال الجزء (الصناعة الثقافية) محل الكل (الثقافة) وهو نزوع الهيمنة والقفز على الطبيعة التعددية للوجود، وبدا التواصل كما بشر به علماء وضع المابعد، وما بشرت به النظرية النقدية التواصلية من نهاية الإغلاق، هي تبشيرات وهمية، فالهيمنة الثقافية واللغوية ظهرت في الأنترنت للغة الأنجليزية والثقافة الأمريكية بدون منازع ولا منافس، حيث تشغل أمريكا وحدها

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

ما نسبته أكثر من 65 % من إجمالي الإنتاج الثقافي العالمي، وهو وضع للثقافة واللغة يجعلهما رهن رغبات الفتى الشرير "أمريكا" كما يسميها "نعوم تشومسكي" (18 : 115). ويتعاضم الخوف من ذلك كله عند إدراكنا ووعينا بتراجع الوعي لدى القارئ العربي والمتصل الأنترنتي في القدرة على التفضيل والاختيار، فالثقافة الأمريكية هي ثقافة للحرية الجنسية والتبسيط المعرفي والمعلومة النهائية والتمرد على كل ما هو أخلاقي وديني ومحلي لصالح الفردانية، وهي ثقافة تعمل بعمق في اتجاه إنتاج الكسل العقلي وتحطيم البنية النفسية والانتمائية الاجتماعية لصالح جسدنة الثقافة وسوقية القيم. فالمفاهيم المعرفية في كل العلوم الإنسانية يجري إعادة إنتاجها وفق قيم السوق التي تتعارض ومنظوماتنا المعرفية الثقافية المنحى (23: 2.1) أو هي كما يسميها حجاز حصار الثقافة من حيث هو هيمنة الصورة وتحويل الثقافة إلى مشروع ربحي يروج بعالم الحس وشروط الإثارة ويمارس القطيعة مع المكتوب والتاريخ والفكر في زمن الكونية والمعلوماتية. (19: 12. 13) وهو ما يجعل الهوية الثقافية بيننا وبين الغرب المركز المحتكر للأنترنت كمحتوى لغوي وثقافي، تزيد هوة وتباعدا، بل تنتج تصادمات واختراقات وجرائم أنترنتية لا حصر لها، لنقص الوازع الأخلاقي المتصحر أصلا في التعليم المعاصر وقواعد برمجة الموارد البشرية بوصفها "كائنات إلكترونية" كما يسميها "جون باينس" (25. 42. 48) كما أن لغتنا العربية ما زالت دون مستوى استيعاب تطورات المعلوماتية في جيلها الخامس التي تؤذن بحلول شعبية المعلوماتية وتعميم استخداماتها في الحياة اليومية للمواطن. مما يزيد من الاستمرار في التهميش اللغوي والثقافي لشعوبنا. (14 : 49).

وبعد ذلك لنا أن نتصور في العهد العولمي المرقمن معلوماتيا حجم التبعية . التي ستتضاعف . لثقافة المركز ولغته، وحجم تراجع ثقافة ولغة الهامش في هذا الوضع الاحتكاري الإمبراطوري، بل إن الأنا الحضارية للهامش أخذت تعدل بما

أ.د. العربي فرحاتي .

يناسب المركز بوصفه المنتصر الأبدي ثقافيا تحت ضغط القوة المادية وتراجع القوة الناعمة . ولنا أن نتصور حجم تراجع النسبة والعودة المخيفة للمطلق، حيث تصبح مقولة جدلية الأنا والأنت، أو أن الغير شرط وجودي للأنا لا واقع لها في إنتاج العلاقات، ولنا أن نتصور كيف يتراجع فيه حوار الثقافات والحضارات لصالح التمرکز حول الذات والحوارات المونولوجية، (20 : 19) ولنا أن نتصور كيف يعاد إنتاج التباعد بل العداء والحروب بين الثقافات كما بشر بها هنتنغتون ولقيت آذانا صاغية لدى الديمويين (إسرائيل أمريكا) وقبل ذلك لنا أن نتصور حجم السيطرة على الإدراك وعمليات استفزاز الانفعال وإثارته في البرمجة الفائقة التحكم في جماليات النص وتكييف القيم والمنطق وتنميط الأذواق وقولبة السلوكات بما يحجب العقل والرمز، وبما يخدم الاختراق الثقافي الهادف لإعادة برمجة الفرد وفق لعولمة الفردية الخائنة للجغرافيا والثقافة . (10 : 239 . 241) .

رابعاً :

فهل إلى خروج من سبيل ؟

ظهرت عدة مبادرات للخروج من هذه الوضعية . التي يراد لنا أن ندخلها . بمرجعيات متفاوتة من حيث مقارباتها لمستوى المشكلة، ويمكن جمعها في فئتين، فئة المواكبين والحتمين البرجمائين وهم يرون في تسويق البديل الثقافي الحضاري الذاتي وإعادة إدماجه في السوق المعلوماتية التنافسية وفق معايير الجودة بإنتاج الأقراص المدمجة واستغلال الأنترنت وغيرها، كفيل بتجاوز مشكلة الاختراق الثقافي بكسب الممانعة الذاتية والحصانة في الهوية، بل براهنون على المواكبة في مسألة التقدم برمتها، وهي مقارنة للمشكلة كما لو أنها مشكلة تقنية وقائية وبرجمائية تحتاج إلى قارئ للوضع الثقافي (المحلي والدولي) ومنتهين له، وإلى شراء الآلات واستدماجها في المنشأة الثقافية والمدرسية وإلى متدربين مهرة

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

ومهندسين مبرمجين وإلى مسوقين منافسين . ومن ثمة نمارس الانفتاح بدون عقد ولا خوف عند استحضار هذه الشروط.

وفي ضوء هذا المنحى التكميلي نسجل ما ذهبت إليه " شاليني فنتوريلي " منطلقة من رؤية اقتصادية إبداعية، حيث ذهبت إلى أن إعادة النظر في مفهوم الثقافة المحلية من كونه سياسة لحماية الموروث إلى سياسة لبنيات شبكية رقمية تستوعب مستجدات العولمة أصبحت من ضرورات الثقافة ذاتها، ذلك أن إيجاد ظروف بيئية اتصالية شبكية من شأنه أن يتيح الفرصة للمشاركة الواسعة المجتمعية لإنتاج الأفكار وتفعيل النشاط الثقافي، ومن ثمة فالإبقاء . في نظرها . على مفهوم للثقافة يعبر عن الحفاظ على الميراث الجمالي والميراث الأنثروبولوجي والميراث الصناعي والتجاري لا ينتج إلا الجمود المنافي للابتكار الصناعي، وهو ما يستلزم استحداث مفهوم للثقافة من شأنه أن يستحدث ديناميكية خاصة في السياسة الثقافية لتصبح مفهوما لإنتاج التثقيف الصناعي اللازم للإبداع، فما يسمى بـ " ذهب اقتصاد المعلومات " هو الآن في العهد العولمي المرقمن أفكار عقلية وإبداعية بالدرجة الأولى توزع وتستثمر عبر شبكة المعلومات الالكترونية بعد أن كان مواد معدنية ثم نفطية . (26 : 225 . 231) .

ويقف قريب من هذا التناول والمقاربات الفنية للخروج من هذه الوضعية فئة ترى أن المشكلة سياسية تتعلق بالسلطة وهيمنة الثقافة الأحادية أمام ضرورات التعدد الثقافي، وهو ما يقود بالضرورة إلى إعادة النظر في المسألة الثقافية وهيمنة النماذج الأحادية وفسح المجال للتعدد، في ضوء السياق الحضاري منعا لحدوث أي اغتراب، ومن بين هذه المقاربات العربية نذكر مقاربة "فريال مهنا " لأهميتها والتي لخصت المشكلة في " حالة تزامن التناقض بين الفكر الأحادي المغلق، والفكر الممنهل المفتوح في مجتمعاتنا " وللتخلص من هذه الحالة ترى الحل في إعادة التعامل مع النص الموحى بمنطق حركي وبعث النص القرآني

أ.د. العربي فرحاتي .

للحياة من حيث هو نص ممنهل في جوهره يؤلف بين خصائصه الكونية وأحاديته الجوهرية ولا قابليته للتجاوز ولا حركيته ولا تخليه عن جوهره كخلاصة لكل النصوص الدينية وخاتمها، وبين أزليته وسرمديته وإمكانية تعدد معانيه ودلالاته، ما دامت المعلوماتية قد كشفت عن زيف مقولة النص الأحادي في نظرها، فالنص المعلوماتي بما يتيح من إعادة الإنتاج والبناء والفهم والتفسير، هو نص ممنهل حتى في قدسيته الأبدية . ومن ثمة إعادة قراءة النص المقدس (القرآن والسنة) بوصفه خطاب كوني موجه للإنسانية وفق مقولات النص الممنهل المقدس هو المؤهل . حسب فريال . لإنتاج السبيل للخروج من المشكلة، بخلاف سلطة النص البشري الممنهل في نطاقه المجتمعي (الزماني والمكاني) المحدود، فالملتقي للنص القرآني يريده الله متلقي بوصفه قارئاً نموذجياً منتجاً للمعنى مستخلف في الأرض، عبر الزمن غير سلبى (مستوعب ومنفذ) ويجوز له استخدام التقنيات والآليات الفكرية لإنتاج المعاني باستمرار، وتلك هي مهمة الفقهاء والمفسرين البرجماتيين كما تسميهم " فريال " من حيث هم البديل المنطقي للإغلاق السلفي الديني المتطرف والإغلاق العلماني القومي والاشتراكي والوطني، والخروج من حالة الإغلاق والخوف من الحروب المدمرة . (15 : 519 . 542) . غير أن فريال أسست خروجها على فرضية الحتمية التكنولوجية وضرورة المواكبة كما لو أن المعلوماتية قيمة نفعية إيجابية مطلقة، تقتضي مجموعة من إجراءات التكيف المستمر وملاءمة ذواتنا، وتقتضي قراءتنا لنص الوحي بالأدوات المنهجية المعاصرة وتكييفه وتجديده وفق مستجدات التكنولوجيا المعلوماتية .

إلا أن المشكلة كما نراها تطرح على مستوى ثقافي أشمل وعلى مستوى المنظومة المعرفية الأكاديمية أعمق، وعلى مستوى أخلاقي أخص . ذلك أن مؤشرات البحوث تكشف عن سلبيات المعلوماتية كتقنية على العقل والمجتمع والثقافة كما بينهاها، حيث يعاد صياغة الفرد والمجتمع والعلاقات بشكل يهدد الإنسان

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

ذاته كهوية تكوينية ورمزية، وهو ما تحتم علينا البحث عن آلية أخرى للخروج أخرى خارج منطق حتمية المواقبة وهيمنة السلطة، مع الاحتفاظ وعدم إهمال هذه الرؤى وبرامجها ووضع عاجل الأعمال يمكن أن تخفف من حدة المشكلة بالاستفادة من محاسن تكنولوجيا المعلومات. ومن ثمة ضرورة البحث في أجل الأعمال عن الحلول البديلة وعدم الاكتفاء ببناء البرامج الوقائية .

وبالعودة إلى التجربة الإسلامية في التواصل من حيث هي تجربة تراثية مفتوحة للنقد، يمكن لنا أن نجد مخرجا فكريا نؤطر به أمن ثقافتنا المعاصرة كهوية في ظل التعاطي مع المعلوماتية ورقمنة الحياة وعولمتها . فالتجربة الإسلامية هي تجربة للانفتاح والانغلاق على حد سواء، وهي تجربة ظهرت عادلة عندما ارتبطت بالنص القرآني في عهد الخلافة الراشدة، وأعطت للتواصل الثقافي معانيه الأخلاقية الجديدة، وبعدها صارت تجربة تاريخانية متأرجحة بين التطرف في الانغلاق والتطرف في الانفتاح، وهي في ذلك أقرب إلى تجليات القطبية الحادة . غير العادلة . للجدل الإنساني منه إلى النص القرآني، وقد تخللت التاريخ الإسلامي الثقافي بعد الراشدين في تعامله مع الآخر، وأنتجت الإغلاق والجماعات المغلقة . وعليه إعادة اكتشاف ظاهرة ثنائية (الانغلاق / الانفتاح) من حيث هي ممارسة لجدل الإنسان على المستوى الاجتماعي والثقافي المؤسسي والعلاقات مع الآخر كما هي في القرآن والسنة والتجربة الراشدية، هو ممارسة للعدل الأزلي، كما تؤكد معظم الدراسات كدراسة "جان بيير" التي أثبتت إن لتكنولوجيا الاتصال مظهر للتقريب ولعولمة الحياة وفردنتها، ومظهر آخر لإنتاج الاختلاف والتعدد والهوية، كما تظهر في التشجر الثقافي المستمر، وتعدد الثقافات بتعدد الأشياء في السوق، حيث تمون الناس والمجتمعات بخبرات لا متناهية في التنوع. (12 : 29 31) وهو ما يدل على أن تجربة المجتمعات في الاتصال كما هي صورة للانغلاق، فهي أيضا تقدم نحو مزيد من التنوع رغم هيمنة صور الإمبراطورية ومنطق الاحتواء. ومن

أ.د. العربي فرحاتي .

ثمة فالانغلاق حاجة إنسانية تقتضيها الحفاظ على الهوية من حيث هي ناظم اجتماعي للسلوك، وحماية من مخاطر الهجوم والتسلط الإمبراطوري القائم على القوة المادية وسلطة التكنولوجيا المعلوماتية، في حين أن الانفتاح حاجة اجتماعية هي الأخرى، تطرح على مستوى اكتساب العلم والمعرفة وتبادل الخبرات النافعة والتثاقف. كما يجب الوعي بأن إلغاء أحدهما الآخر هو إلغاء للعدل وتأجيج للتطرف، فما يظهر من إنتاج للإغلاق وإقصاء للانفتاح والعكس هو انحياز غير محمود، مرة بمنطق التكيف السلبي والانفعال بالدهشة الستيطيقية (الإعجاب والانهار) والخوض مع الخاضعين مع موجة الإثارة والتسويق، ومرة ننحاز لنظرية المؤامرة والاحتماء بـ "كان أبي" أو باستحضار مقولة " الإنسان ذئب لأخيه الإنسان" وهو استحضار لا شعوري لثقافة أنا خير منه وهي ثقافة غير محمودة شيطانية بالنص القرآني. ولعل هذا ما اصطلح عليه حجازي بحصار الثقافة بين كماشتي الأصولية والمعلوماتية المعولة. أو وضعنا تحت رحمة مطلقين (التراث، والحادثة)

ويتأسس إعادة الاكتشاف هذا على :

. الدعوة : بوصفها تواصل واتصال بالآخر المختلف وجوبا، وهي تتضمن في بعض دلالاتها التواصلية تعميم الذات ووهيها للآخر والانفتاح على الغريب والاستفادة منه، كما تتضمن معاني حق الحوار وحق الغير في امتلاك ما امتلكناه من حقائق، وتأخذ صيغ تبليغ الوحي والتجربة النبوية في صورتها النهائية المعيارية المغلقة بنص القرآن (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .⁵ صدق الله العظيم) بالصورة التي لا تلغي تجربة الأديان السابقة ولا تنسخها (20 : 101) إذ أننا مأمورون عقيدياً بالوصل المستمر مع الأديان الأخرى بمقتضى وجوب الاعتراف بمشروعيتها الأصلية كوجي، ومأمورون شرعا

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

بالاتصال مع المختلف، ولو كان كافرا ما دام الحوار شرع من أعلى السماوات ومع الجن والإنس على السواء . ويعد هذا التأسيس إلغاء للأحادية والهيمنة من أصلها أو على الأقل استهجانا ربانيا لها . وهو ما التزمت به الكوادر الأولى في مشروع الدولة الإسلامية حيث كانوا دعاة في ما أسسوه من أنظمة ثقافية تواصلية وما أسسوه من أخلاق معيارية وفنية سلوكية وما أسسوه من معاملة تجارية في بغداد ودمشق وما أسسته النخبة من تواصل فلسفي وأكاديمي وتبادل معرفي يثري الخبرة ويعدل من النظم الإدراكية الصارمة.

وفقه الدعوة من حيث هو جوهر الإسلام على الإطلاق يستلزم منا تحويله إلى "علم الدعوة" من حيث هو علم التعارف (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)⁶ يغطي حاجتنا إلى المعرفة الاتصالية نزود بها مشاريعنا الحوارية والتفاوضية بأسباب النجاح، إن في زمن الحرب وإن في زمن السلم، وفي جميع المواقف الحياتية وعلى كل مستوياتها، وهو ما يمكن تسميته ثقافيا بإنجاز حصار الحصار. وقد ظهرت محاولات جادة لتأسيس نظريات الاتصال تتميز بالتأطير القيبي والأخلاقي كمحاولة عزى عبد الرحمن في ما أسماه بالاحتمية النظرية القيمية وهي رؤية للمنظومة الإعلامية والاتصالية تطرح كبديل عما يروج له من الاحتمية الاجتماعية والاحتمية المعلوماتية التقنية.(8: 13.12)

فإعادة بناء الدعوة كعلم متخصص أكاديمي سيعيد لا محالة إنتاج علم الاتصال الإنساني ونمذجته في ضوء معايير إنسانية الإنسان من حيث هو مستخلف في الأرض ومتحمل للأمانة أزليا، وفي ضوء منظومة الإحسان من حيث هو ممارسة للأخلاق الربانية الكونية. وهو ما يقود إلى فتح بحوث الإنقاذ الحضاري من مآزق تصنيع وتعليب المفاهيم في أطر السوق والتسويق والترويج ومرجعية اللذة والمنفعة والسلطة . كما يفتح آفاقا بحثية في أجل الأعمال تتعلق بإعادة

أ.د. العربي فرحاتي .

صياغة حقوق الإنسان والمجتمعات الثقافية وحقوق حفظ الهوية التكوينية من التشويه الخلقي (بضم الخاء) والخلقي (بكسر الخاء). فما أنتجه الإنسان من نظم اتصالية إلكترونية ملوثة غير أخلاقية وفتاكة بالآخر الضعيف والفقير لا يقل خطورة على الإنسان مما أنتجه من أسلحة الدمار الشامل وما أنتجه من النفايات السامة المضرة بالبيئة، وما أنتجه من استنساخ بيولوجي، ومن ثمة وجب الاهتمام بحماية ثقافة الاتصال الإنساني من التلوث النفسي والاجتماعي والآلي بنفس الدرجة في اهتمامنا بحماية البيئة وحقوق الإنسان في السلم والأمن، وحقوقه في الكرامة الأخلاقية والبيولوجية .

وصياغة نماذج الاتصال ضمن إطار الاستخلاف في الأرض والارتفاع بالتسخير (الكل مسخر للكل) هي صياغة لثنائية (الانفتاح والانغلاق) في الاتصال يتساق مع فكرة العالم موجود متصل ومنفصل في آن واحد، وهو ما يمكن من إنتاج ما يدعوه مالك بن نبي بالضمير العالمي البديل المفقود في الحضارة الإمبراطورية، وهو ضمير يبعث تكريم الإنسان النوعي والوظيفي والوجودي إلى الواجهة العالمية، ويضع السلوك الاتصالي كتجربة ضمن إطار إنسانية الإنسان، فيدفعنا نحن إلى الارتقاء بسلوكنا الاتصالي وتحسين تجربتنا في التبليغ ونفع الآخر، كما يدفع السلوك الاتصالي الإمبراطوري لاكتشاف نقصه وتدنيه الأخلاقي فينحاز للتعديل. وهو ما يجعل الذات والآخر يتموقعان في الاختيار وضمن الهوية الجغرافية والمجتمعية والرمزية في آن واحد، يسمح بممارسة العدل الأزلي ومقتضيات الأخوة الإنسانية (الناس قسمان أخ في الدين وأخ في الإنسانية)⁷ .

فيتم إرسال الرسائل واستقبالها وفق شروط الحرية في التمثل أو التغيير والتعديل أو الرفض، ووفق معايير الخير والشر، وتتيح إجرائيا إمكانية تغيير النظم الإدراكية الدوغمائية والقوانين المعيارية الصارمة، بتبادل تعلم المعرفة والخبرة، كما يمنع في الوقت نفسه اضطراب الجدال الإنساني في الانفتاح والإغلاق وتكرار تجربة إنتاج

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

الجماعات المغلقة . وبإبداع الضمير العالمي وتأطير الاتصال بمنظومة الأخلاق تشبع دوافع التأييد الثقافي عند الكل وتطلق جاذبية متبادلة تقضي على فكرة رهاب الغير كما يسميها بيير (12 : 15) وتنتهي في الوقت نفسه عقدة الغالب المنتصر أو القابلية للاستعمار كما يسميها مالك بن نبي .

والله أعلم

المراجع:

- 1 . عبد الرحيم تمحري . تقنيات التواصل والتعبير . ط 1 . 2007 . منشورات عالم التربية . العدد . 8 . مطبعة النجاح . الدار البيضاء . المغرب
- 2 . جاكبسون وآخرون . التواصل . نظريات ومقاربات . ت. عز الدين الخطابي . زهور حوتي . ط 1 . 2007 . منشورات عالم التربية . مطبعة النجاح . الدار البيضاء . المغرب .
- 3 . عبد الكريم غريب . التواصل والتنشيط . الأساليب والتقنيات . ط 1 . 2008 . منشورات عالم التربية . الدار البيضاء . الجديدة . المغرب .
- 4 . مصطفى حجازي . الاتصال الفعال . في العلاقات الإنسانية والإدارة . ط 3 . 2000 . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان .
- 5 . عبد الكريم غريب . المنهل التربوي . معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية . الجزء الأول . ط 1 . منشورات عالم التربية 2006 . مطبعة النجاح . الدار البيضاء . المغرب .
- 6 . ليدنيل بلينجز . الآليات الحجاجية للتواصل . ت . عبد الرفيق بوركي . مجلة علامات . العدد . 21 .
- 7 . سعيد البطيوي . الحجاج والفلسفة . مجلة علوم التربية . المجلد الثالث . ع 22 . المغرب .
- 8 . عبد الرحمن عزي . دراسة في نظرية الاتصال . نحو فكر إعلامي متميز . ط 1 . 2003 . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت لبنان .
- 9 . ج ب . هوغ وآخرون . الجماعة . السلطة والاتصال . . ت . نظير جاهل . ط 2 . 1996 . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان .

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

10. حسن مضفر الرزو . الفضاء المعلوماتي . ط 1 . 2007 . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . لبنان .
- 11 . مالك بن نبي . مشكلة الثقافة . ت. عبد الصبور شاهين . دار الفكر .
- 12 . جان بيير فارني . ت . عد الجليل الأزدي . عولمة الثقافة . ط. 2002 . دار القصبة للنشر . الجزائر .
- 13 . توماس هال . الثقافة تواصل . ت . أحمد النوحى . مجلة (علامات) . ع 21 .
- 14 . معن النقري . المعلوماتية والمجتمع . مجتمع ما بعد الصناعة ومجتمع المعلومات . ط 1 . 2001 . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء . المغرب .
- 15 . فريال مهنا . علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية . ط 1 . 2002 . دار الفكر دمشق . سوريا .
- 16 . علي محمد رحومة . الأنترنت والمنظومة التكنو. إجتماعية . بحث تحليلي في الآلية التقنية للأنترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية . ط 1 . 2005 . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . لبنان .
- 17 . حماني أظلي . الثقافة والتنمية البشرية . ط 1 . 2006 . النجاح الجديدة الدار البيضاء . المغرب .
- 18 . نعوم مشومسكي . إهدار الحقيقة . إساءة التعليم والاعلام وأوهام الليبرالية والسوق الحرة . ت. نعيمة علي . ط 1 . 2006 . مكتبة الشروق الدولية . القاهرة .
- 19 . مصطفى حجازي . حصار الثقافة . بين القنوات الفضائية والدعوات الأصولية . ط 2 . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء . المغرب .
- 20 . محمد مصطفى القباچ . حوار الثقافات وحقوق الإنسان في زمن العولمة . (سلسلة المعرفة للجميع) العدد 30 . 1998 . منشورات رمسيس .

أ.د. العربي فرحاتي .

21. عبد النبي رجواني . التعليم في عصر المعلومات . تجديد تربوي أم وهم تكنولوجي .
- 22 . مجموعة من الباحثين . اللغة والتواصل التربوي والثقافي . ط 1 . 2008 . منشورات مجلة علوم التربية . مطبعة النجاح . الدار البيضاء . المغرب .
- 23 . طلال وهبة . مقال بعنوان . جودة التعليم بين التسويق والتثقيف .
- 24 . ميلود حبيبي . الاتصال التربوي وتدرّيس الأدب . دراسة وصفية تصنيفية للنماذج والأنفاق . ط 1 . 1993 . المركز الثقافي العربي . بيروت . لبنان .
- 25 . جون باينس . أسس التعامل والأخلاق للقرن الحادي والعشرين . ت . أحمد رمو . ط 2 . 2006 . دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة . دمشق . سوريا .
- 26 . شاليني فنتوريللي . الثقافة والاقتصاد الإبداعي في عصر المعلومات . ت . بدر السيد سليمان الرفاعي . عالم المعرفة . ع . 339 . 2007 . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت .

قراءة في الاتصال المعلوماتي وأثاره على الهوية والثقافة

الهوامش:

1. يميل بعض الكتاب ومن بينهم عبد الرحمن تمحري إلى التفريق بين الاتصال والتواصل، في أن الاتصال يعبر به عن العلاقة التي تتم بين الإنسان والطبيعة أو الآلة، بينما يتم التواصل بين ذوات إنسانية (تمحري : ص12) أما حجازي فلم يشر إلى الفرق بين الاتصال والتواصل من حيث دلالتهما، إلى أنه أشار إلى الفرق بين الاتصال والإنباء والإخبار، حيث اعتبر أن الاتصال يتضمن الأثر والرجع أثناء التواصل، بينما الإنباء مفهوم يخلوا من أي دلالة للإرجاع والأثر. (حجازي : 19)

2. يشير الرقم الأول إلى رقم المرجع في قائمة المراجع، والرقم الثاني بعد النقطتين إلى رقم الصفحة أو الصفحات في نفس المرجع .

3. السورة (البقرة) الآية (31)

4. قول ينسب لعلي كرم الله وجهه .

5. سورة . المائدة . الآية . 3

6. سورة . الحجرات . الآية . 13 .

7. قول ينسب لعلي كرم الله وجهه .